إعرفونا ثم احكموا

السيد أحمد الواحدي

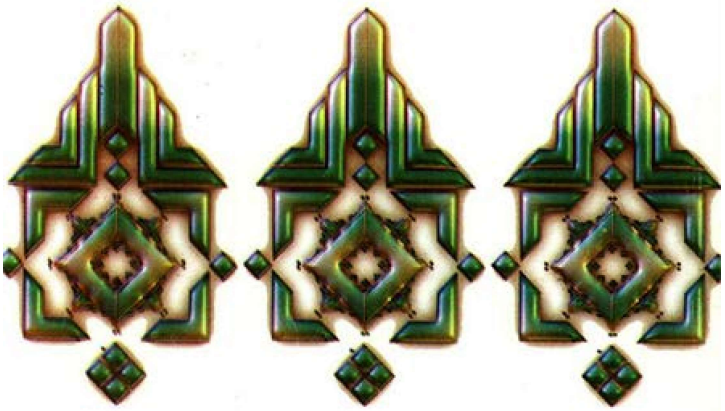

المجمع العالمي لأهل البيت

اعرفوا ثم احكموا

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

آية الله السيد أحمد الواحدي

المجمع العالمي لأهل البيت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

العنوان: بيروت ـ حارة حريك ـ شارع دكاش ـ بناية الحسنين
ت: ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٧ ـ ٠٠٩٦١٣٨٢٣٦٢٠
المستودع: حارة حريك ـ خلف كنيسة مار يوسف ـ بناية دار الزهراء

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

﴿ رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[1].

نحن قوم وشريحة واسعة من المسلمين في أقطار الأرض متمسّكون بحبل ديننا القويم، ونحبّ كلّ من انتحل إليه، ويسرّنا ما يسرّهم ويسوءنا ما يسوءهم، ولا نعرف ولا نعترف بشيء من القومية والعنصرية، ولا نفرق بين المسلمين قريباً أو بعيداً من وراء البحار إلى أقصى الدّيار، سواء لنا أسودهم وأبيضهم أو عربهم وعجمهم، واستلهمنا ذلك من كتاب الله دستور ديننا حيث يقول:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2]، ومن قول نبينا(صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبته بمنى: « يا أيها الناس إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، فلا فضل لعربي على عجمي، ولا لأحمر على أسود إلاّ بالتّقوى خيركم عند الله أتقاكم »[3].

واتخذنا مباني عقائدنا من المبدأ والمعاد، وما يرتبط بهما وما بينهما من القرآن الكريم، وكذلك بنينا أفعالنا على القواعد القرآنية بمعونة السنة النبوية المستقيمة ونعتبرها كالوحي المنزل.

---

[1] سورة الكهف: (الآية: ١٠).

[2] سورة الحجرات: (الآية: ١٠).

[3] [الصّواعق المحرقة]: (ص١٨٢).

ولكن نرى أنّه من قديم الزمان وحديثه يستهدفنا أفكار وأقلام ويهجمون علينا بما لا يتعرّضون بمثله على المشركين وأعداء الإسلام المتجاهرين بالعداوة والبغضاء.

ونحن في هذه الوجيزة لسنا بصدد الدّفاع عن أنفسنا وعقائدنا ومبادئنا، بل﴿ **إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا** ﴾[1]، وكذلك لسنا في مقام الهجوم على الآخرين لأنّا أصحاب المروءة والمرونة، ولنا في رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلّم) وإخوته المرسلين أسوة حسنة﴿ **وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[2].

بل بادرنا إلى أن نعرف أنفسنا بما لدينا من العقيدة والسُّلوك ونعرضها على كلّ من يرغب أن يعرفنا ثمّ يحكم ويرى نفسه في حكمه مسؤولاً تجاه الله أنصفنا أو ظلمنا ﴿ **وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾[3]، وهو يعلم ما في الضّمائر وما تخفي الصُّدور وهو من وراء القصد.

---

[1] سورة الحج: (الآية: ٣٨).

[2] سورة هود: (الآية: ٢٩).

[3] سورة النساء: (الآية: ٦).

في ذوي القربى عموماً

ويعبّر بالعترة أيضاً، وهم أهل بيت الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وآل محمد(عليهم السلام)، وما ورد في عظيم شأنهم وخطر منزلتهم أكثر من أن نحصيها، خاصّة في هذه العجالة، فمن الآيات البيّنات التي نزلت فيهم بتصريح جُلّ من المفسّرين وأصحاب الصّحاح آية التّطهير، وآية المودّة، وآية المباهلة، وآية الخمس، وآيات من سورة هل أتى، وسورة الكوثر، وعشرات آيات أخرى، نجدها في التّفاسير والأحاديث عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم).

وهم شركاء مع شخص النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع صفاته سوى الوحي المختصّ به، ويشملهم ما يشمله، وأبرزها ما ينقله ابن حجر عن الإمام الفخر الرّازي، أنه ذكر: إنّ أهل بيته(صلى الله عليه وآله وسلم) يساوونه في خمسة أشياء:

(١) ـ في السّلام، قال: السّلام عليك أيّها النبي، وقال تعالى:﴿ **سلامٌ على آل ياسين** ﴾[1].

(٢) ـ في الصّلاة عليه، وعليهم في التشهّد.

(٣) ـ في الطّهارة، قال تعالى:﴿ **طه** ﴾[2] أي يا طاهر، وقال:﴿ **ويطهركم تطهيراً** ﴾[3].

---

[1] سورة الصافات: (الآية: ١٣٠).

[2] سورة طه: (الآية: ١).

[3] سورة الأحزاب: (الآية: ٣٣).

(٤) ـ وفي تحريم الصّدقة.

(٥) ـ وفي المحبّة، قال تعالى:﴿ فاتّبِعُوني يحببكم الله ﴾[١]، وقال:﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ﴾[٢].

ولتحقيق أنّ المسلمين جميعاً مكلّفون بمودّة ذوي القربى(عليهم السلام) للرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم بنو هاشم الذين آمنوا لما ورد عنه أنه قال (صلى الله عليه وآله وسلم):« والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبّني ولا يحبّني حتى يحبّ ذويّ »[٣].

وقال(صلى الله عليه وآله وسلم):« إنّ لله عزوجل ثلاث حرمات، فمن حفظهنّ، حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهنّ لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته.

قلت: ما هنّ؟

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي »[٤].

ومضافاً إلى ذلك أنّهم ـ أي المسلمين ـ مكلّفون بإتباعهم، وأخذ دينهم منهم، إذ هم الذين أقامهم الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) مقام نفسه، وجعلهم عيبة علمه، وعدل كتابه، ومعدن أسراره وحكمه، وبيان أحكام شرعه، وهم العارفون بالكتاب والسنّة، وأعلم من سواهم بهما لقوله(صلى الله عليه وآله وسلم): « لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم »[٥].

---

[١] سورة آل عمران: (الآية: ٣١).

[٢] [الصواعق المحرقة]: (ص١٤٩) سورة الشورى: (الآية: ٢٣).

[٣] المصدر السابق: (ص١٤٥).

[٤] المصدر السابق: (ص١٥٠).

[٥] المصدر السابق: (ص١٥١).

وفي خبر آخر قال:« تعلّمُوا منهم فإنّهم أعلم منكم »[1].

ولا يخلو أي زمان منهم ما دامت السّماوات والأرض لأنّ الأمة دائماً بحاجة إلى مرشد رشيد يكون وسيلة لهم إلى الله، وتنبيهاً إلى هذه الحقيقة يقول الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم):« في كلّ خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضّالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله عزوجل فانظروا من توفدون »[2].

وقال أيضاً:« أنا وأهل بيتي شجرة في الجنّة، وأغصانها في الدنيا، فمن شاء إتخذ إلى ربّه سبيلاً »[3].

فهذا يدلّ على أنه في كلّ خلفٍ، وفي كلّ زمن يوجد من أهل بيته العدول لإقامة الحق وإزهاق الباطل ما دامت أمته باقية، وبحمد الله ومنّه تكون أمته باقيةً إلى قيام السّاعة.

عدل الكتاب:

فالأئمة الذين حثّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على الإقتداء والإهتداء والتمسّك بهم، والتعلم منهم هم الذين يمتازون عن غيرهم، ولا يشاركهم في ذلك أحد لا من بني هاشم ولا غيرهم، فهم أحقّ أن يتمسّك بهم لأنهم لا يفارقون الكتاب المبين علماً وعملاً ظاهراً وباطناً، إلى ما يردا الحوض على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما مرّ عنه(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم لن يخرجونا من الهدى إلى الرّدى فيجب موالاتهم ومتابعتهم، وأن نعتبر أقوالهم وأفعالهم

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق: (ص١٥٠)

[3] المصدر السابق.

وتقريرهم أقوال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأفعاله وتقريره كلّها حجّة لأنهم مطهّرون من الأرجاس والأدناس، ومنزّهون عن الجهل والشكّ والآثام كما أنّ النبي الأكرم كان مطهّراً من جميع ذلك.

ولذلك قارنهم الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) بكتاب الله تعالى، حيث قال(صلى الله عليه وآله وسلم):« إنّي أُوشَك أن أدعى فأجيب وإنّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا بمَ تخلّفوني فيهما »[1].

وجاء مضمون هذا الحديث بإختلاف يسير في ألفاظه في الصّحاح والمسانيد والكتب المؤلّفة من أصحاب الحديث بطرقهم المتعدّدة إلى عشرات من الصّحابة كلّهم عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي ذيل بعضها كـ[صحيح مسلم] بعد كلمة« وأهل بيتي » قال(صلى الله عليه وآله وسلم):« أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي »[2].

وفي بعضها كـ[مستدرك الصّحيحين] بعد قوله« حتى يردا عليّ الحوض » قال: « إنّ الله عزّوجل مولاي، وأنا مولى كلّ مؤمن »، ثمّ أخذ بيد علي(عليه السلام) فقال:« من كنتُ مولاه فهذا وليه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه »[3].

وهذا بإقتضاء السّياق كالصّريح بأنّي تارك فيكم الثّقلين، كتاب الله، وعلياً(عليه السلام)، والأئمة الهداة المهديين من ولده، وفي بعضها أنّه(صلى الله عليه وآله وسلم) قال ذلك في خطبته بعد انصرافه من الطّائف.

---

[1] المصدر السابق: (ص١٥٠).

[2] [صحيح]: مسلم (ج٢/ص٣٦٢).

[3] [مستدرك الصحيحين]: (ج٣/ص١٠٩).

وفي بعضها قال بعرفة في حجّة الوداع.

وفي بعضها بغدير خم في هذا العام.

وفي بعضها قال: في مرض وفاته، فلا يهمّنا، و لا يضرّ هذا الاختلاف في الألفاظ والمواطن بعد ما رأينا الحديث، هو متواتر معنىً ومضموناً.

والدّليل على ما قلنا قبل قليل بأنّ علياً والأئمة من ولده(عليهم السلام) قُرناء القرآن الكريم ما جاء الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في[حليته] بإسناده عن ابن عباس، أنه قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):« من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوال علياً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي خُلقوا من طينتي، وزُقّوا فهماً وعلماً، وويلٌ للمكذّبين بفضلهم من أمتي القاطعين منهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي »[1].

فإذن عترة النّبي عِدل القرآن الكريم، وأحد الثّقلين، وكما يقول ابن حجر: هو النّسل والرّهط الأدنون، والثّقل كلّ نفيس خطير مصون، وهذان ـ أي الكتاب والعترة ـ كذلك إذ كلٌّ منهما معدن العلوم الدينية، والأسرار والحكم العلّية، والأحكام الشرعية، ولذا حثّ(صلى الله عليه وآله وسلم) على الإقتداء والتمسّك بهم، والتعلّم منهم، وقال:« الحمد لله الذي جعل فينا لحكمة أهل البيت ».

إلى أن يقول في كلامه الطّويل:« وشرّفهم بالكرامات الباهرة، والمزايا المتكاثرة ».

وقد مرّ بعضها، وسيأتي الخبر الذي في قريش:« وتعلّموا منهم فإنّهم أعلم منكم »، فإذا ثبت هذا العموم لقريش فأهل البيت أولى منهم بذلك، لأنهم إمتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش، وفي أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت، إشارة إلى عدم إنقطاع متأهل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك.

---

[1] [حلية الأولياء]: (ج١/ص١٦).

ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السّابق:« في كلّ خلف من أمتي عدول من أهل بيتي » إلخ.

ثم أحقّ من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب(كرّم الله وجهه) لما قدّمناه من مزيد علمه، ودقائق مستنبطاته. إلى آخر كلامه[1].

فظهر ما أسلفناه أنّ أهل بيته وعترتهم عدلاء القرآن الكريم وقرنائه، فكما يجب الإيمان والتمسّك بالكتاب العزيز يجب التمسّك بهم، والإهتداء بهداهم، وفي ذلك الفوز العظيم.

عددهم:

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّ الخلفاء بعده إثنا عشر خليفة.

وفي بعضها، أنّ كلهم من قريش، وهو أكثرها.

وفي بعضها، كما في[ينابيع المودّة] للقندوزي: أنّ كلهم من بني هاشم.

وينقل ابن شهر آشوب عن أبي الفرج محمد بن الفارس المحدّث بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):« يكون منّا إثنا عشر خليفة، ينصرهم الله على من ناواهم، ولا يضرّهم من عاداهم »[2].

وكذلك ينقل عن الرقاشي بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):« لا يزال هذا الدين قائماً إلى إثني عشر أميراً من قريش، فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها »[3].

---

[1] [الصواعق المحرقة]: (ص١٥١).

[2] [المناقب]: (ج١/ص٢٩١)، و(ج١/ص٢٩٠).

[3] نفس المصدر السابق.

وقد روى عدد من أئمّة الحديث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه صرّح بأسامي إثني عشر إماماً واحداً بعد واحد إجمالاً وتفصيلاً:

الأول: ما ينقله[غاية المرام] عن سلمان المحمّدي، أنه قال: دخلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذا الحسين على فخذه، وهو يقبّل عينيه، ويلثم فاه، وهو يقول:« أنت السيد ابن السيد أبو السّادة، أنت الإمام إبن الإمام أبو الأئمة، أنت الحجّة إبن الحجّة أخو الحجّة وأبو الحجج التسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم (المهدي) »[1].

ومثله يُنقل عن جابر، أنه قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):« أنا سيّد النبيين، وعلي سيد الوصيين، وإنّ أوصيائي بعدي إثنا عشر، أوّلهم علي وآخرهم القائم المهدي(عليهم السلام) »[2].

وعن الخطيب الخوارزمي، عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:« أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون »[3].

الثّاني: أي ذكرهم تفصيلاً، ما يروي أخطب خطباء خوارزم أبو المؤيد موفق بن أحمد المكي من أعيان علماء السنّة، عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال:« لما أُسري بي إلى السّماء أوحى إليّ ربّي جلّ جلاله، فقال: يا محمّد إنّي إطّلعت إلى الأرض إطّلاعة فإخترتك منها، وجعلتك نبياً، وشققتُ لك إسماً من أسمائي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم إطّلعتُ الثّانية فإخترت منها علياً وجعلته وصيّك وخليفتك

---

[1] [ينابيع المودة]: (الباب: ٧٧).

[2] نفس المصدر السابق.

[3] نفس المصدر السابق.

زوج بنتك وأبا ذريتك، وشققتُ له إسماً من أسمائي، فأنا العلي الأعلى وهو علي، وخلقتُ فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثمّ عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقرّبين، يا محمد لو أنّ عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشنّ البالي، ثمّ أتاني جاهداً لولايتهم ما أسكنته جنّتي، ولا أظللته تحت عرشي، يا محمد تحبّ أن تراهم؟

قلت: نعم يا رب.

فقال عزوجل: إرفع رأسك.

فرفعت رأسي، فإذا أنا بأنوار علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، ومحمد بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكب درّي، فقلت: ومن هؤلاء؟ (يعني التسعة).

قال: هؤلاء الأئمّة، وهذا القائم في وسطهم كأنه كوكب دري الذي يحلّ حلالي ويحرّم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي »[1].

وروى عن أعلام السنّة أيضاً حديثاً طويلاً، أوّله:

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):« حدثني جبرئيل عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنه قال: من علم أنه لا إله إلاّ أنا وحدي، وأنّ محمداً عبدي ورسولي، وأنّ علي بن أبي طالب خليفتي، وأنّ الأئمة من ولده حُججي، أدخلته الجنّة برحمتي ونجّيته من النار بعفوي ».

وساق الحديث، إلى أن قال:« فقام جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله ومن الأئمّة من ولد علي بن أبي طالب؟

---

[1] [إلزام الناصب]: عن[غاية المرام]، عن[أعلام السنّة]: (ج١/ص١٨٦).

قال: الحسن، والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، ثمّ سيد العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثم الباقر محمد بن علي ستُدركه يا جابر، فإذا أدركته فأقرأه مني السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثمّ التقي محمد بن علي، ثمّ النقي علي بن محمد، ثمّ الزكي الحسن بن علي، ثمّ إبنه القائم محمد بالحق مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي، من أطاعهم فقد أطاعني، ومن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، وبهم يمسك الله السّماء أن تقع على الأرض، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها »[1].

ونكتفي بذلك في ما كنّا بصدد إثباته، رغم أنّ كثيراً من أئمّة الحديث نقلوا أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) قد أوضح أمر خلفائه، ونصّ على أسمائهم وأعيانهم وأعدادهم وإستخلافهم، على أن لا يبقى لأيّ ذي مسكةٍ ريبٌ بأنهم أوصياء الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حقاً، واحداً بعد واحدٍ، ولا يخلو أيّ زمان من واحد منهم، وإلاّ لساخت الأرض بأهلها كما مرّت الإشارة إليه في الحديث السّابق.

ويدلّ على ذلك أنّ الله تعالى جعل الخليفة قبل خلق الخليقة، بقوله:﴿ **إنّي جاعل في الأرض خليفة** ﴾[2]، لأنّ مدار وقرار الخلق على الخليفة، كما في ذيل الحديث السّابق:« بهم يمسك الله السّماء أن تقع على الأرض، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها »، وذيل الحديث الأسبق:« فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها »، فإذا أراد الله إنتهاء الخليقة يقبض خليفته أوّلاً، ثمّ يتحوّل العالم إلى الإنعدام.

---

[1] [إلزام النّاصب]، عن[غاية المرام]، عن[أعلام السنّة]: (ص١٨٥)، و[كمال الدين]: الصدوق (ج١/ص٢٥٨).

[2] سورة البقرة: (الآية: ٣٠).

الثقلان لا يفترقان:

وممّا يدلّ على إمامتهم ـ أي الإثني عشر المذكورين ـ إجماع الأمة على طهارتهم وعدالتهم وعلمهم بكل الفنون، وأنهم أفضل الخلق بعد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، بل هم بمنزلة نفس النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم مطهّرون معصومون، كما مرّ في رواية أخطب الخطباء، حيث أنهم خصّوا بالعلوم مع أنهم لم يدخلوا مدرسةً ولا تعلّموا من معلّم ولا تلْمَذوا عند فقيه ولا تلقّوا من راوٍ أومحدّثٍ، وقد ظهرت في العالمين بفرقهم وعلى فروقهم علومهم لأنّهم أخذوها عن النبي الأمي، الذي لم يدخل على حبر ولا إستفاد من سفرٍ، وجاء بقرآنٍ عظيم به أسرار الأنبياء والشّرائع وأخبار السّالفين، وجميع ما يحتاجه البشرية إلى يوم الدين، فعلى هذا فهم أفهم من سواهم برموز وأسرار هذا الكتاب المبين، وأحقّ بالتقدّم والزّعامة على المسلمين لحاجة الناس إليهم في جميع ما يحتاجون، وهم بغنى عنهم.

ولا بأس بنقل ما ذكره العلاّمة سليمان البلخي القندوزي في[ينابيعه]، عن بعض المحقّقين، ونختم به البحث في هذا المقام، فيقول:

قال بعض المحقّقين: إنّ الأحاديث الدالّة على كون الخلفاء بعده(صلى الله عليه وآله وسلم) إثنا عشر قد إشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزّمان وتعريف الكون والمكان عُلم أنّ مراد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من حديثه هذا. الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته وعترته. إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن إثني عشر، ولا يمكن أن يُحمل على الملوك الأموية لزيادتهم على إثني عشر، ولظلمهم الفاحش، إلاّ عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم، لأنّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال:« كلهم من بني هاشم » في رواية عبد الملك عن جابر، وإخفاء صوته(صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا القول يرجّح هذه الرّواية، لأنهم لا يحسنون خلافة بني هاشم.

ولا يمكن أن يُحمل على الملوك العبّاسية لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلّة رعايتهم:﴿ قل لا أسالكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ﴾[1]، وحديث الكساء.

فلابدّ أن يُحمل هذا الحديث على الأئمة الإثني عشر من أهل بيته وعترته(صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله، وكان علومهم عن آبائهم متّصلاً بجدّهم(صلى الله عليه وآله وسلم)، وبالوراثة واللّدنية، كذا عرفهم أهل العلم والتّحقيق، وأهل الكشف والتّوفيق[2].

ويذيّل العلامة القندوزي هذا التحقيق بقوله: ويؤيّد هذا المعنى ـ أي أنّ مراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأئمّة الإثنا عشر من أهل بيته ـ ويشهد ويرجّحه حديث الثّقلين، والأحاديث المتكرّرة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها[3].

يعني كتابه[ينابيع المودة]، وغيرها أي غير هذه الأحاديث.

ولنا أن نضيف إلى هذا التحقيق الحقيق ما هو أدقّ من ناحية المبادئ العلمية وهو: إنّ كلّ الخلفاء والملوك المذكورين، وهم إمّا من قريش أو بني هاشم، قد انقضى أجلهم، وانتهى أمدهم وأيامهم، وزال ملكهم، وما بقي أحد منهم.

مع أنّ المستفاد من أحاديث الباب أنّ وجود وحضور الأئمة الإثني عشر يستمرّ بإستمرار القرآن الكريم والإسلام من دون الإفتراق والإنقطاع، كما اعترف بذلك ابن حجر في[الصّواعق] في كلامه السّابق وهو:« عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة »، وهم عدلاء القرآن الكريم وقرناءه، ويجب أن يكون دائماً

---

[1] سورة الشورى: (الآية: ٢٣).

[2] [ينابيع المودة]: (الباب: ٧٧).

[3] نفس المصدر السّابق.

واحدٌ منهم مع القرآن الكريم، وفي كلّ خلف من الأمة لينفوا عن هذا الدين تحريف الضّالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين على ما قاله الرسول الأمين، ولازم ذلك بقاءهم ما بقي الدّهر كما هو بقاء قرينهم القرآن الكريم إلى يوم الحشر، وذلك لا يتمّ ولا يتصوّر إلاّ في الأئمة الإثني عشر من أهل بيت الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم علي وأولاده المعصومون(عليهم السلام) الذين وصفهم النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بالعصمة والطّهارة، ونصّ بأنّ أوّلهم علي وآخرهم القائم المهدي، كما نقلنا ذلك قبل قليل.

وزد على ذلك أنّ الله تبارك وتعالى وعد في كتابه العزيز:﴿ **إنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون** ﴾[1]، وكذلك قال:﴿ **ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين** ﴾[2]، والرسول الأكرم أخبر بأنّه:« يخرج رجل من أهل بيتي يواطئ إسمه إسمي، وخلقه خلقي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً »[3].

ونحن لم نر إلى هذا الحين إنجاز هذه الوعود لا ورث الأرض عبدٌ صالحٌ، ولا مستضعف، ولا مُلئت الأرض قسطاً وعدلاً، بل نرى أنّ الظلم يتزايد يومياً، وبقي المستضعف في ضعفه، والصّالح في أسفه على ما يجري من الجور والحيف، خاصّة في أوساط المسلمين.

فالنتيجة أنّ الذي يرث الأرض والمستضعف، الذي يصبح إماماً هو المهدي الموعود، ولا غير، وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهو آخر الأئمة الإثني

---

[1] سورة الأنبياء: (الآية: ١٠٥).

[2] سورة القصص: (الآية: ٥).

[3] [كنز العمال]: (ج٧/ص١٨٨).

عشر، والحلقة الأخيرة المتّصلة بهذه السّلسة الجليلة، فبالتالي أوصياء الرسول بالنصوص القويمة التي لا تنطبق إلاّ عليهم، وما أراد الله ورسوله غيرهم لتضمين السّعادة البشرية جمعاء على الكرة الأرضية.

فلو كانت الأمة تخضع لكلّ واحدٍ منهم وتطيعه كان هذا الغرض الأقصى، أي إمتلاء الأرض بالقسط والعدل، وسعادة الإنسان، بمعنى الكلمة كان يتحقّق لأنّ كلاً منهم قادرٌ من ناحية الفاعلية والأهلية لإنجاز ذلك، ولكن رأينا أنّ الناس من جهة القابلية متخلّفين عنهم، وقاصدين غيرهم، فلابدّ لهم أن يسكتوا رعايةً لمصالح الإسلام والمسلمين، ولكن في زمن المهدي ينقلب كلّ شيء حتى يرى هو مصالح الإسلام والمسلمين في أعمال السّياط والسُّيوف لتحقيق الغرض، وإنجاز الوعد، وممّا يؤسف كلّ منصفٍ هو تحريف بعض المتعصّبين الألدّاء كلام النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في إثني عشر من أهل بيته بالخلفاء الرّاشدين، ومعاوية، ويزيد، وعبد الملك بن مروان، وأربعة من أولاده، وعمر بن عبد العزيز، وأسخف من ذلك جعل يزيد المعلن بالفسق والإلحاد من الخلفاء مع العلم بأنّ أباه حمله على عاتق المسلمين، فلذلك استنكره جمع من الصّحابة الكرام.

وكأنّ هذا البعض وأمثاله حلفوا اليمين على أنّ كلّ ما يخصّ أهل البيت يحوّلوه إلى أعداءهم، فيُسقطون الإمام الحسن(عليه السلام) عن تعداد الخلفاء، أو ينقصون الإمام الحسين(عليه السلام) لأنه قام في وجه الطغاة لإحياء الدين وبقاء القرآن الكريم، ولكن كلّ هذا لا يضرّ أهل البيت(عليهم السلام) لقول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):« لا يضرّهم من عاداهم » بل يرتفع مقامهم عند الله تعالى.

ويروي ابن ماجة: بينما نحن عند رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أقبل فتية من بني هاشم فلمّا رآهم اغرورقت عيناه، وتغيّر لونه، قال: فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟!!

فقال:« إنّا أهل بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً شديداً وتطريداً »[1].

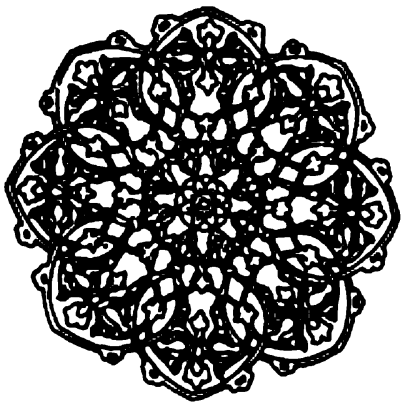

[1] نقلاً عن الحدائق المحرقة].

الإمام المهدي

(عجل الله تعالى فرجه الشريف)

إنّ حديث الإمام المهدي(عليه السلام) من أنه إبن الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، وأنه وُلد في« سُرَّ من رأى » سنة مائتين وخمس وخمسين من الهجرة النبوية (على هاجرها السّلام) وأنه آخر أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)، وأنه غاب ولا يزال غائباً حياً، وسيظهره الله تعالى لإقامة الحقّ والعدل، وإبادة الباطل والجور ممّا إعترف به جمع كثير من أئمة الحديث وأصحاب السّير والصّحاح، وجاؤوا بأخباره في كتبهم المؤلّفة، وأثبتوا ذلك بالأحاديث المعتبرة المسندة، ومنهم محمد بن طلحة الشّافعي في كتابه[مطالب السؤل]، وسبط ابن الجوزي في كتابه[تذكرة الخواص]، والشيخ الأكبر محيي الدين العربي في كتابه[الفتوحات المكية]، ومحمد بن يوسف الكنجي الشّافعي في كتابيه[كفاية الطّالب]، و[البيان]، وابن الصبّاغ المالكي في كتابه [الفصول المهمة]، وابن أبي الفوارس في كتابه[الأربعين]، وفضل بن روزبهان في شرحه على[الشمائل] للترمذي، وعبد الرحمن الحاجي في[شواهد النبوة]، وسليمان القندوزي في كتابه[ينابيع المودة]، والإمام السيوطي في[إحياء الميت بفضائل أهل البيت]، ويوسف بن يحيى الشّافعي في[عقد الدرر في أخبار المنتظر]، وابن خلكان في [تاريخه] المعروف، وابن حجر الهيتمي الشّافعي في كتابه[الصّواعق المحرقة].

وكثير من الحفّاظ، حيث أخرجوا أحاديث المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ونقلوها في مؤلّفاتهم، وغير المذكورين مثل مسلم، وإبن داود، والنسائي،

وابن ماجة، والبيهقي، والترمذي، والإمام أحمد بن حنبل، وكذلك أمثال الخطيب البغدادي، وابن جرير الطّبري، والحاكم النيسابوري، وابن الأثير، وابن كثير، وإبن حجر العسقلاني، ومئات آخرين حيث لا يسع المجال لتعدادهم، وبعض منهم ألّفوا بخصوص أخبار المهدي كُتباً خاصاً مثل أبي نعيم الأصبهاني، والسيوطي، والمتقي الهندي، وابن قيم، وعشرات غيرهم، قد مرّ ذكر بعضهم.

فالخلاصة كلّ هؤلاء الذين ذكرناهم وغيرهم الذين لا نستطيع أن نحصيهم في هذه العجالة جاؤوا بأحاديث مروية ومعتبرة في خصوص المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وهم يعترفون بتواترها معنىً، بتعبيرات وألفاظ مختلفة مع وحدة الموضوع مسندة إلى عشرات من الصحابة ما يقرب أربعين صحابياً« عباراتنا شتّى وحسنك واحد ».

نسبه الشريف:

سنختار ونقتصر عن كلّ ما استحضرناه:

أولاً: بكلام الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي في[الفتوحات المكية] (الباب السّادس والستين وثلاثمائة)، فيقول:

إعلموا أنّه لابدّ من خروج المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلاّ يوم واحد طوّل الله ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ولد فاطمة(عليها السلام)، جدّه الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ووالده الحسن العسكري، إبن الإمام علي النّقي بالنون، إبن الإمام محمد التّقي بالتاء، إبن الإمام علي الرضا، إبن الإمام موسى الكاظم، إبن الإمام جعفر الصّادق، إبن الإمام محمد الباقر، إبن الإمام زين العابدين علي، إبن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، يواطئ إسمه إسم رسول

الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، يبايعه المسلمون ما بين الرُّكن والمقام، يُشبه رسول الله في الخلق ـ بفتح الخاء ـ، وينزل عنه في الخُلق بضمها.

إلى أن يقول: ويدعو إلى الله بالسّيف، فمن أبى قتل، ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو عليه الدين في نفسه حتى لو كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حيّاً لحكم به فلا يبقى في زمانه إلاّ الدين الخالص عن الرأي. إلى آخر كلامه[1].

ثانياً: بقول العارف عبد الوهاب الشّعراني في(الجزء الثاني ـ المبحث الخامس والستين) من كتابه[اليواقيت]: إنّ جميع أشراط السّاعة التي أخبرنا بها الشّارع حقٌّ لابدّ أن تقع كلّها قبل قيام الساعة.

إلى أن يقول: فهناك يترقّب خروج المهدي(عليه السلام)، وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري، ومولده(عليه السلام) ليلة النّصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باقٍ إلى أن يجمع بعيسى بن مريم، فيكون عمره إلى وقتنا هذا، وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (٩٥٨) سبعمائة وثلاث سنين (٧٠٣)[2].

ثالثاً: وهو الأخير، ما ذكره سبط إبن جوزي الحنفي في كتابه[تذكرة الخواص]: (فصل في ذكر الحجّة المهدي):

هو محمد بن الحسن، بن علي، بن محمد، بن علي، بن موسى الرضا، بن جعفر بن محمد، بن علي، بن الحسين بن علي، بن أبي طالب؛ وكنيته أبو عبد الله، وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّة، صاحب الزمان، القائم المنتظر، والتالي. وهو آخر الأئمة[3].

---

[1] نقلاً عن[اليواقيت]: (المبحث: ٦٥)، والتعبير بأنه من أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) غير وارد لأنّ الإمام العسكري ما كان غير المهدي بل ما ولد له غيره.

[2] نفس المصدر السّابق.

[3] [تذكرة الخواص]: (ص٣٢٥).

وهو إبن الأئمّة الهداة المهديين من أهل بيت خاتم النبيين، وأمه كريمة الطّرفين وشريفة النّسبين، فهي من العمود الأبي حفيدة قيصر الروم، ومن العمود الأمّي من ذريّة شمعون الصّفا وصي سيدنا عيسى(على نبينا وآله عليه السلام)، وبمشيئة الله تعالى وقعت في أسرى بأيدي المسلمين، وتملّكها الإمام العسكري، فأنجبت له المهدي بسر من رأى سنة(٢٥٥)، في منتصف شعبان، صبيحة يوم الجمعة، وما كان أثر الحمل ظاهراً فيها.

ويروي عبد الرحمن الجامي الحنفي، عن حكيمة بنت أبي جعفر الجواد، أنها قالت: كنت يوماً عند أبي محمد (العسكري)، فقال: يا عمّة بيتي الليلة فإنّ الله يعطينا خلفاً.

فقلت: ممّن؟ فإنّي لا أرى من نرجس أثر الحمل.

فقال(عليه السلام): يا عمّة مثل نرجس مثل أم موسى لا يظهر حملها إلاّ في وقت الولادة.

إلى آخر ما جاء به في[شواهد النبوة][1].

وهذا الخفاء لكتمان أمره عن السلطان، وصعوبة الزّمان، كما نقل هذا التعليل عن الحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشّافعي[2].

وكان عند وفاة الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) عمر المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) خمس سنين، واستلم مواريث النبوة، وتولّى منصب الإمامة بمشيئة الله تعالى، وظهر منه خوارق العادة، وآتاه الله الحكمة كما آتى يحيى بن زكريا الحكمة وهو صبيّ، وجعل عيسى بن مريم نبياً وهو ابن ساعات أو أيام كما

---

[1] نقلاً عن: [إلزام النّاصب]: (ج١/ ص٣٢٥).

[2] نفس المصدر السابق: (ج١/٣٢٣).

إعترف بهذا المعنى كلٌ من ابن حجر في[الصّواعق المحرقة]، وعبد الرحمن الجامي في كتابه[مرآة الأسرار].

ويقول الجامي في ذيل كلامه: جعله الله في صغره إماماً، وظهر منه خوارق العادة، على ما لا يسع هذا الكتاب إحصاؤه[1].

له غيبتان:

والحكمة التي ذكرناها في خفاء أمره في الحمل والولادة إقتضت إختفاؤه عن أنظار الناس وعمدتها خوفه من السلطان لأنّ الطّواغيت كانوا بصدد قتله حيث ظنّوا به بأنّه القائم، وهلاكهم وزوال ملكهم بيده، كما أنّه نقل أنّ معتضد العباسي أرسل جلاوزته إلى بيت الإمام العسكري لإختطاف المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، أو إغتياله، فرجعوا خائبين.

لذلك ولأمور خفيّة أخرى ولمصالح شتّى كان(عجل الله تعالى فرجه الشريف) مأموراً بالإستتار والإصطبار، فإتخذ لنفسه غيبتين، إحداهما الصغرى وثانيهما الكبرى الطويلة، أمّا الأولى فهي تبدأ من وفاة أبيه إلى ما يقرب السبعين عاماً، فعيّن(عجل الله تعالى فرجه الشريف) بينه وبين شيعته سفراء عدول، وهم أربعة على الترتيب:

(١) ـ عثمان بن سعيد العمري.

(٢) ـ إبنه محمد بن عثمان العمري.

(٣) ـ الحسين بن روح النوبختي.

(٤) ـ علي بن محمد السمري.

---

[1] نقلاً عن: [إلزام الناصب]: (ج١/ص٣٣٦).

وهؤلاء كانوا وسطاء بين الإمام والرعيّة في نقل المسائل، وحلّ المشاكل. إلى أن دنى أجل الرّابع، فأُخرج إلى الناس توقيعٌ من الإمام(عجل الله تعالى فرجه الشريف) مكتوباً فيه:

« بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري: أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنّك ميت، ما بينك وبيني ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توصي إلى أحد، فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وإمتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السُّفياني، والصّيحة فهو كذّاب مفترٍ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ».

وبعد ستّة أيام من صدور هذا التوقيع توفي السمري، ودفن ببغداد كأسلافه، وقبورهم مزارات للناس، وذلك في سنة ثلاثمائة وتسع وعشرين من الهجرة، وحينئذٍ وقعت الغيبة الكبرى، وكان عمر الإمام أربعة وسبعين عاماً، ومدّة غيبته الصغرى وزمان نوّابه الأربعة تسعة وستّين عاماً، وبعد ذلك لا يعلم كيف غاب، وكيف يعيش، وأين يسكن، ويمشي، لأنّ علم كلّ ذلك عند الله لأنها من الأمور الخفيّة الغيبية، فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من إرتضى من رسولٍ.

فالذي يجب علينا أن نعتقد به هو أنّ مهدي الأمّة هذا الذي وصفناه، وغاب لمصالح، ويعيش سليماً عن الأمراض حتى يظهر، وبقدرة الله التي قهر بها كلّ شيء يقهر على العالم، ولا يهمّنا أنه غاب في السّرداب، أو الغابات، أو السهول، أو الجبال، أو غيرها، وهو ليس محصوراً أو مقيّداً في مكان حتى يحتاج أن يقوم أحد بطعامه وشرابه، بل هو في طوافه ورحلته في الأرض وأطرافها يأكل ويشرب، أسلم وأهنأ مأكول ومشروب، وبعدما آمنّا بقدرة الله ومشيئته نرى كلّ شيء على الله يسير، وهو على كلّ شيء قدير.

ونختم هنا بحديثين أخرجهما أبو نعيم الأصبهاني في صفة المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف):

أولهما: عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: « ويح هذه الأمة من ملوكٍ جبابرةٍ كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلاّ من أظهر طاعتهم، فالمؤمن التقي يصانعهم بلسانه، ويفرّ منهم بقلبه، فإذا أراد الله عزوجل أن يعيد الإسلام عزيزاً قصم كلّ جبّارٍ، وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمّةً بعد فسادها.

فقال(صلوات الله عليه وآله وسلم):« يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يملك رجل من أهل بيتي تجري الملاحم على يديه، ويظهر الإسلام، لا يخلف وعده، وهو سريع الحساب »[1].

ثانيهما: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):« أبشّركم بالمهدي، يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلزالٍ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ».

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد بن حنبل في[مسنده][2].

إبن الحسنين(عليهما السلام):

ثمّ إنّه ثبت لنا بما أوردنا الأحاديث المعتبرة لدى الكلّ أن المهدي المنتظر(عجل الله فرجه الشريف) هو أولاً إبن الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، والمولود سنة مائتين وخمس وخمسين للهجرة في سامراء، وهو من أولاد الحسين السبط(عليه السلام)، ولا ينافي ذلك بما جاء في بعض النقل بأنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله

---

[1] [عقد الدّرر]: ليوسف بن يحيى المقدسي(٦٣و٦٢).

[2] نفس المصدر السّابق.

وسلم) قال:« المهدي من ولد هذا » وأشار إلى الحسن المجتبى(عليه السلام) لأنه صحيح أنّ المهدي(عجل الله فرجه الشريف) من ولد الحسن(عليه السلام) لكنه عن بنته فاطمة التي تزوّجها علي بن الحسين زين العابدين(عليهما السلام)، فأنجبا محمد بن علي الباقر فهو حفيد الحسين وسبط الحسن(عليهما السلام) أي ولدهما، والأئمة بعده كلهم أولادهما واحداً بعد واحد، فالإمام محمد الباقر، ومن بعده من خلفه حسنينيون أباً وأماً، فعلى هذا يصحّ أن يقال أنّ محمد الباقر من ولد الحسن(عليه السلام) كما عبّر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحسن بولديه وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في خصوص المهدي(عليه السلام):« المهدي من ولدي وجهه كالكوب الدرّي »[1]، فهو ولد الحسن والحسين(عليهما السلام)، وكذلك ولد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، هذا أوّلاً.

وثانياً هو الموعود المنتظر(عجل الله فرجه الشريف) أخفاه الله عن الأنظار لمصالح عديدة، وهو حيّ يرزق في كمال الصحّة والسّداد، وتمام الخلق، وعظم الخلق، كجدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وسيظهره الله لإحياء الشّريعة المحمّدية، وإقامة دولة الحقّ والعدالة على أرجاء العالم، وإزالة الطّاغوت والظُّلم والعدوان عن الجوامع البشرية على ما وعدنا الله تعالى في كتابه العزيز، وقوله صدق وحقّ، وإنّه لا يخلف الميعاد، فقال عز من قائل:﴿ **ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون** ﴾[2].

فالعجب كلّ العجب ممّن يروي أو يرى الأحاديث المتكاثرة بأنّ أئمة أهل البيت إثنا عشر أوّلهم علي وآخرهم المهدي(عليهم السلام)، وأنه يظهر في آخر الزمان ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ومع ذلك يطعن فيمن يعتقد بالمهدي(عجل الله فرجه

---

[1] [الصّواعق المحرقة]: (ص١٦٤).

[2] سورة الأنبياء: (الآية: ١٠٥).

الشريف)، ومن دون ملاحظة الرّبط والسّياق، والمناسبة والإنطباق، يأوّل المهدي(عجل الله فرجه الشريف) بعيسى(عليه السلام) رغم قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):« منّا مهدي الأمة »، أو قوله(صلى الله عليه وآله وسلم):« يكون في أمتي المهدي ».

أو يأتي ليطبق على المهدي العباسي، مع قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): « إنّه من أهل بيتي »، أو« من ولد فاطمة »، أو« الحسين »، أو« من أولادي »، أو يصرّ على أنه« من صلب الحسن لا الحسين »، وقد حلّلنا وجمعنا بين الرّوايتين بأنه من ولد الحسنين(عليهما السّلام).

أو يدّعي بأنّه سيُولد في آخر الزمان مع أنّ كلّ من تعرّض لهذا البحث إعترف بأنّه ابن الحسن العسكري(عليه السلام)، وولد سنة مائتين وخمس وخمسين، وهو آخر الأئمّة الإثني عشر.

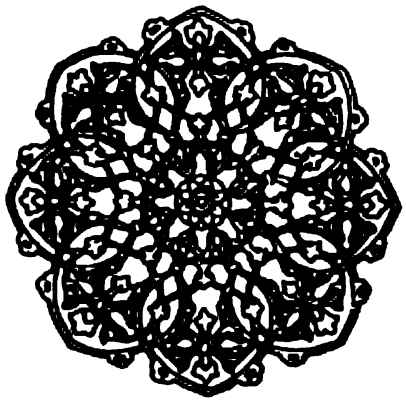

العمر الطويل

وأمّا قضية طول عمره وحياته من دون قصور وفتور، من غير أسقامٍ أو آلامٍ فهي محلولة عند من يعتقد بقدرة الله تعالى ومشيئته: ﴿ **إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾[1].

لأنّ طول العمر، ولو إلى ألوف السنين ليس من المحالات الذّاتية أو العقلية، فما دام لم يكن ممتنعاً بالذّات فلا بأس بالإعتقاد بوقوعه، لأنه ممكن ذاتاً، بل واقع من قديم الزمان، فالتّاريخ ناطقٌ بكثيرٍ من المعمّرين في سالف الزّمان قد عاشوا ألوفاً من السّنين مع صحّة أجسامهم، وسلامة عقولهم ومشاعرهم.

فمن المعمّرين الذين يذكرهم المؤرّخون سيدنا نوح(عليه السلام) قد عمّر ألفين وخمسمائة سنة، ولقمان بن عاد عمّر ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، وعوج بن عناق عمّر ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، وأمه عناق بنت آدم عمّرت أكثر من ثلاثة آلاف سنة، وعزيز مصر في عهد يوسف عمّر سبعمائة سنة، وأبوه ريّان عمّر ألف وسبعمائة سنة، وجدّه دومغ عمّر ثلاثة آلاف سنة، وجمشيد ملك فارس الّذي أحدث مهرجان عاش ألفي وخمسمائة سنة، وذو القرنين ثلاثة آلاف سنة، أو ألف وخمسمائة، والذين عاشوا فويق الألف ودوينه فكثير جداً، مثل آدم(عليه السلام) أبي البشر فقد عاش تسعمائة وثلاثين سنة، ووصيّه شيث بن آدم تسعمائة وإثني عشر سنة،

---

[1] سورة يس: (الآية: ٨٢).

وإدريس ثلاثمائة وخمس وستين سنة، وأفريدون ملك العجم أكثر من ألف سنة، وكلّ من يرغب بزيادة الإطلاع فعليه بالمفصلات، ويجد فيها على حدّ القبول والقناعة.

ومضافاً إلى ذلك ما نرى في القرآن الكريم من قصّة حياة عيسى وإدريس في السماء، والخضر وإلياس في الأرض، وهما يجتمعان كلّ يوم عرفة بعرفات، ويأخذ كل منهما شعر الآخر فيفترقان عن قولهما: بسم الله، ما شاء الله. ولا يدرى كم لهما من السّنين.

وهكذا الشّيطان الرّجيم، والدجّال اللعين، فالأول:﴿ **من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم** ﴾[1]، والثاني الذي عاش منذ زمن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن يظهر في آخر الزّمان، فيقتله عيسى بن مريم(عليهما السلام).

والغرض من ذكر هؤلاء المعمّرين أنه لا نرى أيّ مانع عقلي ولا وقوعي من أن يعيش إنسان بمشيئة الله ألوفاً من السنين، وبعد ذلك فأيّ مانع يتصوّر أن يكون المهدي(عجل الله فرجه الشريف) منذ غيبته حياً باقياً إلى أن يشاء الله أن يظهره، ويجعله إماماً مصلحاً لما:﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي النّاس** ﴾[2] ومجدّداً لما عطّل من أحكام الكتاب، والسنّة، ومشيّداً لأعلام الدين والشريعة، ولا يبقى من الطغاة والكفرة في مشارق الأرض ومغاربها، برّها وبحرها، سهلها وجبلها آثاراً﴿ **ولا يدع منهم ديّاراً ويكون الدّين كلّه لله** ﴾[3].

فالذي يستبعد طول عمر المهدي(عجل الله فرجه الشريف) مع الشّواهد التاريخية المشهورة على المعمّرين، ويرى أنّ بعضهم عاشوا بأضعاف من عمر

---

[1] سورة ص: (الآية: ٨٠-٨١).

[2] سورة الروم: (الآية: ٤١).

[3] سورة الأنفال: (الآية: ٣٩).

المهدي(عجل الله فرجه الشريف) الآن، وهو ألف ومائة ونيّف وستّون عاماً لا يعتبره المنصفون منصفاً، ويتعجّبون من تعجّبه، ويستنكرون إنكاره، لأنه يؤوّل ذلك إمّا إلى نفي قدرة الله وإرادته، وإمّا إلى العناد واللجاج، إذ لا برهان أقوى من العيان أي المشاهدة والوقوع في سالف الزمان.

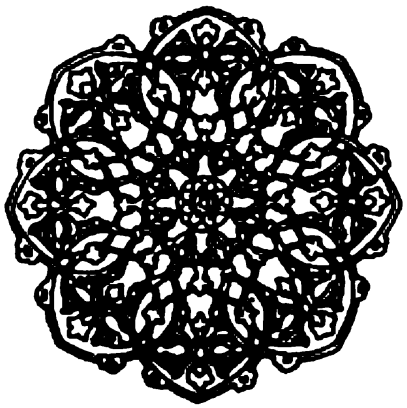

أسباب الغيبة

قد مرّت الإشارة إلى بعض علل الغيبة بأنّ عمدتها الخوف من أن يقتله جبابرة زمانه، وبقتله لا يتحقق آمال الأنبياء والأولياء، وهي الحكومة الإسلامية على الكرة الأرضية، والخوف لا يتعلّق بذهاب نفسه بل يتعلّق بذهاب الدين كلّه، لأنه الموعود الوحيد لإقامة العدل، وإماتة الظلم، ولا أحد غيره أو بعده، كما أنّ جده النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) عندما شعر بالخطر من المشركين على نفسه المستلزم لهدم بناء أهدافه ومبادئه الإسلامية ترك دار بعثته ومسقط رأسه، وغادر وهاجر إلى المدينة، لكي يستطيع نشر دينه الذي بُعث لأجله، وهو آخر الأديان، كما أنّ نفسه الشّريفة خاتم الأنبياء، ولا نبيّ بعده لتبليغ الرّسالة، وكذلك المهدي (عجل الله فرجه الشريف) هو آخر أئمّة أهل البيت(عليهم السلام)، وليس بعده إمام يُرتجى منه إصلاح الكون، وإحياء الشّريعة، فيجب أن يبقى ولو بالإستتار والإختفاء إلى أن يقتضي الظُّهور والفرج.

وعن جعفر بن محمد الصّادق(عليهما السلام) أنه قال:« لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم(عليه السلام) من حجّةٍ لله فيها ظاهرٌ مشهورٌ أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم السّاعة من حجّة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله »[1].

ومعنى ذلك أنه لو لم يكن حجّة لا يُعرف الله أحد ليعبده، والأقرب أنّ معناه أنه لم يبق أحد حتى يعبد الله على الأرض، كما مرّت الإشارة إلى ذلك.

---

[1] [إلزام الناصب]: (ج١/ص٤٢٨).

وعنه(عليه السلام) فيما رواه زرارة بن أعين، قال: سمعت الصّادق جعفر بن محمد(عليهما السلام) يقول:« إن للغلام ـ يعني المهدي(عجل الله فرجه الشريف) ـ غيبة قبل أن يقوم.

قلت: و لم ذاك جعلت فداك؟

فقال: يخاف (أشار بيده إلى بطنه وعنقه).

ثمّ قال: وهو المنتظر الذي يشكّ الناس في ولادته، فمنهم من يقول: إذا مات أبوه مات، ولا عقب له. ومنهم من يقول: قد ولد قبل وفاة أبيه بسنتين، لأنّ الله عزوجل يحب أن يمتحن خلقه، فعند ذلك يرتاب المبطلون »[1].

فلو بقي ظاهراً مثل آبائه لم يكن الطغاة يتركونه، فإما يقتلونه كما قتلوا آباءه، وإمّا يطلبونه بالبيعة والطاعة، كما أنه لم يكن من آبائه أحدٌ إلاّ وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وحيث أنه مأمور لإبادة الطُّغاة فيجب أن لا يكون في عنقه أيّ بيعة للطّواغيت.

وصحيح أنّ الله كان قادراً أن يحيل بينه وبين من يريد قتله، ولا يغيبه عن الأنظار، ولكن هذا خلاف مصلحة التكليف والإختيار، لأنّ هذه الخيلولة وقعت من الله لا بإختيار العبد ليثاب عليها أو يعاقب على تركها، ثم إنّ آبائه كانوا يعرفون بأنّ نظام التقدير وإرادة الباري تعالى تعلّقا بأنّ القائم بالنصر والغلبة هو مهديهم(عجل الله فرجه الشريف)، وهذا المعنى كان يعرف طواغيت زمانهم، وكانوا فارغين وآمنين من قيامهم، ولكن بالنسبة إلى المهدي الموعود(عجل الله فرجه الشريف) حيث بلغهم بأنّه يقوم بالسيف لا محالة، وهو الثاني عشر من أئمة

---

[1] [كمال الدين]: (ج٣/ص٣٤٦).

أهل البيت ما كانوا يتركونه، ويبذلون جهودهم ويجمعون كيدهم لإبادته، ولذلك كلّه أخفاه الله، كما أخفى حمله حتى لا ينتشر خبره.

ومثل ذلك جرى في الأمم السّالفة مثل نمرود وفرعون لّما علموا بأنّ زوال ملكهما على يد إبراهيم وموسى فقاما بتدابير من التّفريق بين الزّوجين، والمراقبة على ذوات الأحمال بقتل الذكور من المواليد، فستر الله تعالى ولادة إبراهيم وموسى مثل ما ستر ولادة القائم(عجل الله فرجه الشريف) بنفس الحكمة.

وجاء في الخبر عن الصّادق(عليه السلام) أنه قال في قصة موسى:« و لم يزل - أي فرعون - بشقّ بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قتل في طلبه - أي طلب موسى - نيّفاً وعشرين ألف مولود، وتعذّر عليه الوصول إلى قتل موسى(عليه السلام) بحفظ الله تبارك وتعالى إيّاه، وكذلك بنو أمية وبنو العباس لّما وقفوا على أنّ زوال ملكهم، وملك الأمراء والجبابرة منهم على يد القائم منّا ناصبونا العداوة ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم، ويأبى له عزوجل أن يكشف أمره لواحد من الظلمة﴿ إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره المشركون ﴾ »[1].

ثمّ إنّه إذا تمكّن الطاغوت من قتله، وهو آخر الحجج لا يبقى أحدٌ على الأرض لأحاديث عديدة، بعضها قد مرّت، وينقل إبن حجر عن الإمام أحمد بن حنبل، وغيره، عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:« النجوم أمان لأهل السّماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السّماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض »[2].

---

[1] [كمال الدين]: (ج٢/ص٣٥٤).

[2] [الصّواعق المحرقة]: (ص٢٣٥).

فما ذكرناه بعض أسباب غيبة المهدي(عجل الله فرجه الشريف)، وأمّا ما خفي عنّا من المصالح، فعلمه عند الله، ولا ينكشف إلاّ بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر(عليه السلام) من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى(عليه السلام) إلاّ وقت إفتراقهما، هكذا جاء في رواية عبد الله بن فضل عن الصّادق(عليه السلام):« فقال له: يا بن الفضل إنّ هذا الأمر أمر من أمر الله، وسرٌ من سرّ الله، وغيبٌ من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزوجل حكيم، صدقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا »[1].

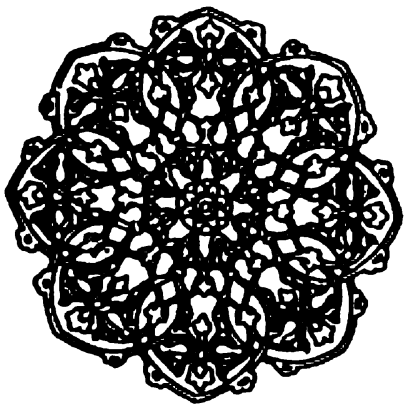

[1] [كمال الدين]: للصدوق (ج٢/ص٤٨٢)، و[علل الشّرايع]: (باب: /ج١/ص١٧٩).

فوائد الغيبة

فثبت ممّا ذكرناه أنّه لابدّ من قيام مصلح يوماً ما، فيقوم بإحياء الفرائض والسُّنن، وإبادة الخرافات والبدع، وإجراء العدالة على المجتمع، وهذا المصلح ليس إلاّ المهدي المنتظر(عجل الله فرجه الشريف) الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً، وهو الغائب الذي سيظهره الله لذلك، وهذا أمر محتوم إلى أجل معلوم لا يعلمه إلاّ الله، وما بيّنه أحد من الأئمة الطّاهرين بل كذّبوا كلّ من يتكهّن بوقت الظُّهور، ومن كلامه(عليه السلام) في أحد توقيعاته:« وأمّا ظهور الفرج فإنّه إلى الله تعالى ذكره وكذب الوقّاتون »[1].

وفي غيبة المهدي(عجل الله فرجه الشريف) فوائد عديدة، منها تمييز المؤمن من غيره في إستقامته وثبوته على دينه، وإصطباره على نوائب زمانه، وإصلاح نفسه، لأنه يعتقد بالمهدي(عجل الله فرجه الشريف) وغيبته الطويلة، وظهوره لا محالة، وهو يراه بنور الله، ويعرف أعماله وأفعاله، كما في الحديث عن جعفر بن محمد الصّادق قال:« يفقد النّاس إمامهم يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه »[2].

فعلى هذه القناعة يسوي نفسه، ويستعد ويتهيّأ لإستقبال المهدي(عجل الله فرجه الشريف) عندما يظهر لأنه لا يعلم وقت الظُّهور لعلّه يقع فجأةً، وهو ما كان يتوقّع ولذلك لا يهمل في تكاليفه من فعل الواجبات وترك المحرّمات ليبقى مؤمناً خالصاً،

---

[1] [كمال الدين]: للصدوق (ج٢/ص٤٨٦).

[2] نفس المصدر السّابق: (ج٢/ص٣٥١).

ويصبح في دولة المهدي(عجل الله فرجه الشريف) فائزاً ناجحاً، إذ لـو لم يكـن ذاك العصر مؤمناً حقاً لا ينفعه إيمانه بعد قوله تعالى:﴿ **يوم تـأتي بعـض آيـات ربّـك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانهـا خـيراً** ﴾[1]، وفسّره الإمام الصّادق(عليه السلام) بخروج القائم المنتظر(عجل الله فرجه الشريف)، وقـال: « يا أبا بصير طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره ﴿ **أولئك أولياء الله الّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ »[2].

وفي ذيل خبر آخر، قال(عليـه السـلام):« فيومئـذٍ لا ينفـع نفسـاً إيمانهـا لم تكـن آمنت من قبل قيامه بالسّيف، وإن آمنت بمن تقدّمه من آبائه(عليهم السلام) »[3].

وفي ذكر أشراط السّاعة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السـلام): «وترفـع التوبة ». ثمّ قرأ الآية فقال:« هو التوبة »[4].

لذلك يخلص المؤمن إيمانه من الكدر، ويرتدّ من كانت طينته خبيثة حتى يمتازوا عن بعض، وينزل النقمة على الكافرين الذين لا يُرتجـى منهـم خـير، ولا يلـدون إلاّ فـاجراً كفاراً، كما أنّ العذاب نزل على قوم نوح(عليه السلام)، وأغرقوا فأدخلوا نـاراً بعدمـا إمتازوا عن المؤمنين بكفرهم، وما في أصلابهم وأرحامهم، فيستحقّون العذاب.

وورد في ذلك خبر عن أبي عبد الله الصّادق(عليه السلام) حيث قيل له: ما بـال أمير المؤمنين لم يقاتل؟ قال: الآية في كتاب الله عزوجل:﴿ **لو تزيّلـوا لعذّبنـا الذيـن كفروا منهم عذاباً أليماً** ﴾[5].

---

[1] سورة الأنعام: (الآية: ١٥٨).

[2] [كمال الدين]: (ج٢/ص٣٥٧).

[3] نفس المصدر السابق: (ج٢/ص٣٣٦).

[4] [عقد الدرر]: للمقدسي الشّافعي (ص٣٢٦).

[5] سورة الفتح: (الآية: ٢٥).

قال: قلت: وما يعني بتزيّلهم؟

قال: ودائع المؤمنين في أصلاب قوم كافرين، وكذلك القائم لن يظهر أبداً حتى يخرج ودائع الله عزّوجل، فإذا أخرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله فقتلهم[1].

ولا فائدة للمؤمن في زمن الغيبة أهم من أن يؤمن بالغيب، ويعبد الله وحده، ولا يزعزعه الحوادث والكوارث، ولا يحرّكه العواصف، ويبقى كالجبل الرّاسخ مثل ما يكون بين يدي الإمام الحاضر، وقلبه مطمئن بالإيمان بأنّ لله حجّة بالغة، ولا يخلو الأرض منه وإلاّ ساخت بأهلها، وهذا الحجّة في هذا الزمان غائبٌ مستور، ولا فرق بينه وبين حجّة هو ظاهرٌ مشهور كمن سبقه من آبائه الطّاهرين، ومع ذلك ينتظر الفرج ويدعو له، ويعتبر ذلك من القربات إلى الله لقول النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم):« أفضل أعمال أمتي إنتظار الفرج »[2].

وقال أمير المؤمنين(عليه السلام):« المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله »[3].

وطبعاً يكون للإنتظار هذه المثوبات ما يستلزم الطّاعات والإيمان الخالص للمبدأ والمعاد، وإلاّ لا يكون الإنتظار من دون هذه اللوازم نافعاً، ومثله كمثل من يدعو ضيفاً عزيزاً فلا يهيّأ له أسباب الضّيافة والنّظافة، أما يلام على ذلك الإهمال لدى الضّيف ولدى العقلاء؟ أمّا لو تهيّأ لإستقبال ضيفه على ما يليقه يمدحه جميع العقلاء ويشكره الضيف ويرضى عنه.

والشّاهد على عظيم المثوبة لمن يثبت في الغيبة، وينتظر الحجة، ما رواه عمّار السّاباطي عن أبي عبد الله الصّادق(عليه السلام) قال: قلت له: العبادة مع الإمام

---

[1] [كمال الدين]: (ج٢/ص٦٤١).

[2] [كمال الدين]: (ج٢/ص٦٤٤)، و(ج٢/ص٦٤٥).

[3] نفس المصدر السابق.

منكم المستتر في دولة الباطل أفضل؟ أم العبادة في ظهور الحق ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟

فقال:« يا عمّار الصّدقة والله في السرّ أفضل من الصّدقة في العلانية، وكذلك عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل أفضل لخوفكم من عدوّكم في دولة الباطل، وحال الهدنة ممّن يعبد الله عزّوجل في ظهور الحق مع الإمام الظاهر في دولة الحق، وليس العبادة مع الخوف وفي دولة الباطل مثل العبادة مع الأمن في دولة الحقّ ».

ثمّ بيّن الإمام بعد ذكر أفضليته أعمال المؤمنين في الغيبة من أعمالهم في الظهور بأضعاف مضاعفة في سبب تلك الفضيلة، جواباً عن سؤال عمّار في ذلك بقوله: « إنّكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عزّوجل وإلى الصّلاة والصوم والحج، وإلى كلّ فقهٍ وخيرٍ، وإلى عبادة الله سراً ».

إلى أن يقول:« مع الصّبر على دينكم، وعبادتكم، وطاعة إمامكم، والخوف من عدوكم، فبذلك يضاعف الله أعمالكم فهنيئاً لكم هنيئاً ».

فاستغرب عمّار وإستعظم هذه الفضيلة المتكاثرة للمؤمن في زمن الغيبة، فقال له: جعلت فداك فما نتمنّى إذاً أن نكون من أصحاب الإمام القائم في ظهور الحقّ، ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أعمال أصحاب دولة الحق؟.

فأجابه الإمام بما يحتوي نكتة ظريفة إجتماعية، ونبّهه بأنّ مصالح العامة دائماً يجب أن ترجّح على مصالح الفردية أو الأقلّية، فقال:« سبحان الله أما تحبون أن يظهر الله عزّوجل الحقّ والعدل في البلاد؟ ويحسن حال عامّة العباد؟ ويجمع الله الكلمة؟ ويؤلّف بين قلوب مختلفة؟ ولا يعصى الله عزّوجل في أرضه؟ ويُقام حدود الله في خلقه؟ ويردّ الله الحقّ إلى أهله فيظهره، حتى لا يستخفى بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق ».

ولتأكيد أنّ المؤمن المنتظر للظهور له أجر عظيم، قال(عليه السلام):« أما والله يا عمّار لا يموت منكم ميت على الحال التي أنتم عليها إلاّ كان أفضل عند الله عزّوجل من كثير ممّن شهد بدراً وأحداً فأبشروا »[1].

وما ذكرناه من الفائدة يختصّ بشيعته الذين ينتظرون ظهوره، ويتخلّقون بالأخلاق الكريمة الإسلامية، ويعملون بتكاليفهم الدّينية، فلهم من الأجر والثّواب فوق الإحصاء.

ولكنّ لعامة الناس أيضاً فوائد مترتّبة على وجوده المستتر وينتفعون به من دون أن يعرفوه، أو يعتقدوا به، وهو كالمطر نفعه عام، ولكن بعض الأراضي غير مستعد للإنتفاع منه، وكذلك هو كالشمس فيضه شامل ولكن الأعمى غير مستأهل للرؤية، ومع ذلك حياته وسلامته مرهونتان لإفاضة هذا الفيّاض السّماوي بإدارة خالق الكون والمكان.

فهو وإن كان غائباً مستوراً، ولكنّه أمان لأهل الأرض، وسبب لبقائهم، إذ لولاه لساخت الأرض بأهلها، للحديث الوارد عن الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) عندما سأله سائل، عن عدد الأئمّة بعده؟

فقال: والسّماء ذات البروج، إنّ عددهم بعدد البروج، وربّ الليالي والأيام والشهور إنّ عددهم كعدد الشهور.

فقال السّائل: فمن هم يا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)؟

فوضع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يده على رأس علي(عليه السلام) فقال:« أولهم هذا، وآخرهم المهدي، من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني، ومن أحبّهم فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن أنكرهم فقد أنكرني، ومن عرفهم فقد عرفني.

---

[1] [كمال الدين]: (ج٢/ص٦٤٦).

بهم يحفظ الله عزّوجل دينه، وبهم يعمّر بلاده، وبهم يرزق عباده، وبهم نزل القطر من السّماء، وبهم يخرج بركات الأرض، هؤلاء أصفيائي وخلفائي وأئمة المسلمين وموالي المؤمنين »[1].

فمن هذه خاصيته وفائدته لا يفرق أن يكون تجاه الأنظار أو خلف الأستار كالشّمس تشرق بلا حجاب، أو تستر بالسّحاب؛ فالناس والحيوان والجبال والبحار والنبات والأشجار، وغيرها ما في الأرض جميعاً ينتفعون منها، ولذلك شبّه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الغائب المستور بالشّمس بقوله:« والذي بعثني بالنبوّة إنهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كإنتفاع الناس بالشّمس وإن جلّلها السّحاب »[2].

وكذلك قال الصّادق(عليه السلام) في جواب سليمان الأعمش، عندما سأله: فكيف ينتفع بالحجّة الغائب المستور؟!

قال:« كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب »[3].

وهو نفسه(عجل الله فرجه الشريف) في توقيع له قال:« وأمّا وجه الإنتفاع بي في غيبتي فكالإنتفاع بالشّمس إذا غيبها عن الأبصار السّحاب ».

وعلّل(عليه السلام) كلامه هذا بقوله:«.وإنّي أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السّماء »[4].

---

[1] [كمال الدين]: (ج١/ص٢٦٠) (ذيل الرّواية الطويلة).

[2] [إلزام النّاصب]: عن جابر الأنصاري.

[3] المصدر السابق: (ج١/ص٤٢٨).

[4] [كمال الدين]: (ج١/ص٢٦٠).

ووجه تشبيهه بالشمس وصول فيضه إلى عامّة الناس مثل نور الشّمس الواصل إلى جميع الخلق، ولو كانت محجوبة بالسّحاب، وعموم فيضه هو أمن الناس من العذاب ببركة وجوده، لأنه بمنزلة جدّه المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم)، يقول الله له:﴿ وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم ﴾[1].

وأيضاً إنتظار المؤمنين لظهوره كإنتظارهم لظهور الشّمس بإنكشاف السّحاب عنها أيضاً، ومنكر وجوده في حال غيبته كمنكر الشمس حال غيبوبتها بالسحاب، وكذلك من وجوه التشبّه أنّ الناس بحسب إستعدادهم المعنوية وبميزان رفع مشتهياتهم النّفسانية يستنيرون بنور ولايته، وكلّ من يرفع الموانع يستفيد أكثر مثل ما يرتفع عنه الحجاب بأيّ مقدار تشرق عليه الشمس بهذا المقدار.

فوجود الحجّة من الله مثل بقية حجج الله منذ خلق آدم(عليه السلام) بتقدير، وجعل ذي الملك والملكوت جلّ شأنه العزيز علّة لوجود وبقاء الكون والكائنات، ولذلك لابدّ في كل عصر إلى نهاية الدهر من وجود وحضور حجّة لإستمرار الحياة الكونية بما فيها الأرض ومن عليها، وتعلّق إرادة الله بأن يكون الحجّة هو من أهل بيت النبي الخاتم(صلى الله عليه وآله وسلم)، فبيمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسّماء، ولو كان غائباً عن الأنظار، ولكن في أيّام ظهوره ودولته أي دولة الحقّ والعدالة يتوفّر على الرعية بركات الأرض والسّماء، ويصلون إلى سعادة الدنيا والآخرة، اللهمّ أرنا الطّلعة الرّشيدة، والغرّة الحميدة، وعجّل فرجه، واجعلنا من الفائزين لدى حضرته.

ثمّ إنّه جاء في كتب الفريقين من علائم ظهور المهدي(عجل الله فرجه الشريف) في آخر الزمان أحاديث كثيرة جداً قبل ظهور السفياني، والدجّال، والفساد،

---

[1] سورة الأنفال: (الآية: ٣٣).

والدمار، وغيرها ممّا لا يسعنا المجال لذكرهـا، وكذلـك قـد أورد الأعـلام في كتبهـم المؤلّفة في المهدي(عجل الله فرجـه الشـريف) مـا يقـع مـع ظهـوره، وكيفيـة قيامـه، وتسلّطه على العالم، ونشـره للعلـم والعـدل، وتنعـم النـاس بـأنواع النعـم في عهـده، وزوال الجهل والفقر عن كافة الناس، ووفور بركات الأرض والسماء، وتحقّق آمـال الأنبياء وأهدافهم على المجامع البشرية من المحبّة والإخـاء والمواسـاة والمسـاواة، وزوال الحقد والحسد والمعاداة، والمعاناة، كمـا ورد عـن رسـول الله(صلـى الله عليـه وآلـه وسلم) في ضمن حديث:« ثم يمكث النّاس... ليس بين إثنين عداوة »[1].

وكلّ الوقائع التي ذكروها من قبل الظهور وبعده، حقّ واقع، ولكن لا يهمنـا في هذه العجالة التعرّض لذكرها لأنها مورد الإتفاق في الجملة.

والذي لابدّ لنا من البحث عنه، والكلام فيه، ما وقع مورد النقـاش والنّزاع مـن قديم الزّمان بين الأعلام والأقران هو موضوع الرّجعة، أي رجـوع بعـض الأمـوات إلى الدنيا في دولة المهدي(عجـل الله فرجـه الشـريف)، والإيـراد والجـواب والنقـض والإبرام حول هذا الموضوع طويلة الذّيل جداً، ونحن لسنا بصدد التّطويل والتّفصيل، بل نلخّصها في رؤوس المطالب، فنقول:

أولاً: موضـوع الرّجعـة ممّـا تفـرّدت بهـا الإماميـة، وكـادت أن تكـون مـن الإجماعيات والضّروريات لديهم.

ثانياً: يستفاد من كثير مـن الأحـاديث الـواردة عـن طرقهـم أنّ الرّاجـع في دولـة المهدي(عجل الله فرجه الشريف) صنفان، وهمـا الصّـالح المحض، والطّـالح المحـض، فالأول يرى ما يقرّ عينه بمشاهدة دولة الحق، والثّاني يرغم بظهور هذه الدولة التي ما كانوا يرغبون أن يصل إليها أهلها، فهذه عقوبة شديدة لهـم، ثـمّ ينتقـم منهـم إلى أن يموتوا ثانيةً.

---

[1] [عقد الدرر]: (ص٣٢٩).

ثالثاً: إنّ الرّاجعين بحسب الرّوايات الواردة الثّابتة لديهم هم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وفاطمة(عليها السلام)، والإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وسائر الأئمة الطّاهرين من أولادهم، وبعض خواصّ مواليهم، وكذلك بعض أعدائهم الألدّاء.

ثمّ نبحث في أنّ الرّجعة أي رجوع الموتى إلى الدنيا التي كانوا يعيشون فيها قبل موتهم، هل هي من المحالات الذّاتية العقلية مثل إجتماع الزّوج والفرد في العدد الواحد؟ أو إجتماع الليل والنّهار في وقت واحدٍ؟ أو طلوع الشّمس الواحدة من جهتين في السّاعة الواحدة؟ أو إتّصاف جسمٍ بالحركة والسُّكون في آن واحد؟ فهذه كلّها من المحالات الذّاتية، ولا يمكن أن يتصوّر تحقّقها، فهل يعتبر رجوع ميتٍ إلى الحياة من هذا القبيل؟

نقول في الجواب: طبعاً ليس هكذا، بل هو من الممكنات لأنّ العقل لا يعتبره من المحالات الذّاتية، لأنه لا يرى أنّ الإنسان إنعدم بالموت وصار مثل ما قبل حياته لم يكن شيئاً مذكوراً، بل الإنسان المركّب من الجسم والروح بالموت لا ينعدم لأنّ موته ليس سوى قطع إرتباط الجسم والروح، وحصول الإفتراق بينهما، وبعد هذه المقاطعة كلّ يرجع إلى أصله فالروح يصعد إلى السماء، أو يتجوّل في الهواء، والجسم يغيب في التراب ويلحق بأمه ويتحول إليها، ويبقى في جوفها ولا يخرج عنها، فإذا أراد الذي أنشأه أوّل مرّة أن يعيده إلى ما كان قبل هذه التحوّلات، أو ينشأه ثاني مرّة يكفي أن يقول له كن فيكون، فيجمع ذرّات الجسم المنتشرة في التراب، أو في ضمن أيّ شيء يتصوّر وينفخ فيه الرُّوح المعلّقة في الأجواء، فيقوم حياً ويرجع إلى الدنيا، كما أنه بهذه الكيفية يحيى ويخرج من جدثه سريعاً إلى النُّشور مع نفخ الصُّور، فما الفرق بينهما غير هذا النّفخ الّذي قرّره الله تعالى لإحياء جميع الأموات ليوم الحساب؟ وليس في الرّجعة إحياء تمام الموتى بل إرجاع عدّة معنيين كما أشرنا إليهم.

﴿ فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون ﴾[1].

وهذا القليل يكفي لكلّ موحّدٍ منصف وينفعه لأنه يعرف بأنّ الله قادر على كلّ شيء يحيي ويميت ويميت ويحيي، وأمّا من لا يعتقد بالله تعالى أو بقدرته وإرادته ليس لنا مجال للمناقشة معه في هذا الأمر، وأمور أخرى من متفرّعات أصل التوحيد بل يجب أوّلاً أن نتكلم معه في إثبات الأصل وهو التوحيد.

ولكن لابأس بأن نزيّل كلامنا بذكر ما وقع في سالف الزمان من عود بعض الأموات إلى الدنيا بجميع شخصياتهم السّابقة، ليكون هذا الذّيل تكميلاً للبيان وتعليلاً للإمكان، أي دليلاً على أنّ الرّجعة من الممكن، فلو كان من المحال ما كان يقع في الأمم السّالفة واللاحقة.

ونكتفي في ذكر هذه الوقائع ببعض ما جاء في القرآن الكريم:

(١) ـ قوله تعالى:﴿ وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرةً فأخذتكم الصّاعقة وأنتم تنظرون ﴾[2].

ثمّ:﴿ بعثناكم من بعد موتكم لعلّكم تشكرون ﴾[3].

وقيل: أنّهم كانوا سبعين رجلاً. وقيل: عشرة آلاف رجلاً[4].

وعدد السبعين مربوط بقضية أخرى سنذكرها، وهم طلبوا أمراً محالاً، وهو رؤية الله تعالى عن ذلك، لأنّ الرؤية لا تتحقّق إلاّ في الجسم، وهو منزّه عن الجسمية، فأماتهم بالصّاعقة، ثمّ بعثهم، أي أحياهم بعد موتهم.

---

[1] سورة يس: (الآية: ٨٣).

[2] سورة البقرة: (الآية: ٥٥).

[3] سورة البقرة: (الآية: ٥٦).

[4] [تفسير البيضاوي]: (ذيل الآية).

(٢) ـ قوله تعالى:﴿ **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم** ﴾[١] .

والأقوال في عددهم مختلفة من ثلاثة آلاف، وثمانية آلاف، وعشرة آلاف، وثلاثين ألفاً، وأربعين ألفاً، إلى سبعين ألفاً. وهم من بني إسرائيل قوم حزقيل ثالث الخلفاء بعد موسى(عليه السلام)، أصيبوا بطاعون وقع في بلادهم ففرُّوا منه، وحسبوا أنهم يفرُّون من الموت، فأماتهم الله ومضى عليهم مدّة حتى إنتفخت وبليت أجسادهم، وعريت عظامهم، وتقطّعت أوصالهم، فمرّ عليهم حزقيل وبدعائه أحياهم الله وردّهم حتى سكنوا الثُّور، وأكلوا الطّعام، ونكحوا النّساء، ومكثوا بذلك ما شاء الله. ثم ماتوا بآجالهم[٢] .

(٣) ـ قوله تعالى:﴿ **أو كالّذي مرّ على قريةٍ وهي خاوية على عروشها قال أنّى يُحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثمّ بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آيةً للنّاس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلمّا تبيّن له قال أعلم أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير** ﴾[٣] .

وفي أنّ الذي مرّ على قرية من كان هو؟ خلاف، فقال بعض: أنّه عزير.

وبعض آخر: أنه أرميا. وقيل: هو خضر.

ولكن الأول هو المشهور، وإنّه نبي، وما صدر منه هذا الكلام عن ريبٍ أو إنكار بل كان يرغب أن يشاهد كيفية إحياءها، فأماته الله، وبقي مائة عام ميتاً، ثمّ أحيه

---

[١] سورة البقرة: (الآية: ٢٤٣).

[٢] [مجمع البيان]: (ذيل الآية).

[٣] سورة البقرة: (الآية: ٢٥٩).

الله، وفكّر أنه مضى عليه يوم أو بعض يوم، فأراد الله تعالى أن يريه من آياته، فأوحى إليه بأنّك كنت مائة عام ميتاً، فانظر إلى آياتنا، وهي أنّ طعامك وهو العنب والتّين، وشرابك وهو العصير لم تتغيّر و لم تفسد مع لطافتها، ولكن حمارك تفرق أجزاءه وتبدّد عظامه، ثم أنظر كيف نركّب العظام ونكسوها لحماً، وهذا كان جواباً لما قاله:﴿ أنّى يحي هذه الله بعد موتها ﴾[1]، فلمّا تبيّن ظهر له أنه مات مائة سنة، وكيف يحي الله الأموات؟ قال: أعلم أي بعين اليقين بأنّ الله على كلّ شيء قدير.

طريفة:

رُوي عن علي(عليه السلام):« إنّ عزيراً خرج من أهله وإمرأته حامل، وله خمسون سنة فأماته الله مائة سنة، ثمّ بعثه فرجع إلى أهله إبن خمسين سنة، وله إبن له مائة سنة، فكان إبنه أكبر منه، فذلك من آيات الله »[2].

(٤) ـ قوله تعالى:﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلمّا أخذتهم الرّجفة قال ربِّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي أتهلكنا بما فعل السُّفهاء منّا إن هي إلاّ فتنتك ﴾، إلخ[3].

قيل: إنّ هؤلاء السّبعين هم الذين قالوا لموسى:﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾، والظّاهر أنهم غيرهم لتعدّد القصّة، لأنه جاء في التّفسير بأنهم إدّعوا على موسى(عليه السلام) بأنه قتل أخاه هارون.

وقيل: أنهم دعوا ما كره الله ذلك، فأخذتهم الرّجفة، وهي على قولٍ هو الموت، ثمّ أحياهم، ويؤيّد هذا القول تعبير موسى(عليه السلام) بالهلاك في قوله:

---

[1] سورة البقرة: (الآية: ٢٤٣).

[2] [مجمع البيان]: (في تفسير الآية).

[3] سورة الأعراف: (الآية: ١٥٥).

ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي وأنت ما تهلكنا بما إرتكب سفهاؤنا من عبادتهم للعجل.

والتفصيل في المفصّلات، وبالجملة أنّهم رجعوا إلى الدنيا، وعاشوا. بل في ذيل بعض الروايات أنّ الله جعلهم أنبياء[1].

(٥) ـ قوله تعالى: ﴿ **وأيوب إذ نادى ربّه أنّي مسّني الضُرُّ وأنت أرحم الرّاحمين** ﴾[2]، ﴿ **فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضُرٍ وآتيناه وأهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين** ﴾[3].

وكان أيوب(عليه السلام) في عصره أكرم العباد على الله، فابتلاه بالمحن العظيمة من ذهاب مواشيه وأمواله، وهلاك أولاده وأهله.

وقيل: أنهم كانوا سبعة بنين وسبع بنات، ولما إمتدّت المحنة والأمراض به نادى ربّه بأنه ناله الضر، ولا أحد أرحم منه له، ومع هذا التّعريض بالدعاء استجاب له ربه وكشف ما به من الأوجاع، وردّ عليه أهله وأولاده الذين هلكوا بأعيانهم، ومثلهم معهم، وكذلك ردّ الله عليه أمواله ومواشيه بأعيانها ومثلها معها.

وما ذكرناه مضافاً إلى ما جاء في الكتاب العزيز من إحياء عيسى(عليه السلام) للأموات بإذن الله، وإحياء قتيل بني اسرائيل بضربه ببعض البقرة المذبوحة، يثبت لنا أنّ الله تعالى قادر على أن يحي الموتى، وقد أحياها قبل ذلك بقدرته، وبنفس هذه القدرة يحيى من يشاء متى يريد.

---

[1] [مجمع البيان]: (في تفسير الآية).

[2] سورة الأنبياء: (الآية: ٨٣ـ٨٤).

[3] نفس المصدر السّابق.

إذاً... النتيجة أنّ الرّجعة بما فسّرناها لأنها غير ممتنع فقط بل هي ممّا تحقّقت في سالف الزمان، ولا مانع أن تقع في آخر الزمان أيضاً، فالإعتقاد بها لا يضرّ بأساس التوحيد، بل هي تؤكّد التوحيد بأنّ الله قادر على كلّ شيء ويحكم ما يريد.

وأمّا ما يدلّ على وقوع الرّجعة في القابل فهي كثيرة، ونستظهر بعض الآيات ونكتفي بالآيتين منها:

الأولى:﴿ ويوم نحشر من كلّ أمّة فوجاً ممّن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴾[1]، فمن المعلوم أنه ليس المراد من هذا اليوم يوم القيامة لأنّ الحشر في القيامة عام لجميع الأفراد والأفواج من دون إستثناء، لقوله تعالى:**﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾**[2]، فيظهر من هذه الآية أنّ حشراً لبعض الخلق قبل القيامة سيتحقّق، ونعني بهذا الحشر هي الرّجعة.

الثانية: قوله تعالى:**﴿ قالوا ربّنا أمتّنا إثنتين وأحييتنا إثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾**[3] فالإماتتان أوّلهما بعد الحياة الأولى، والأخرى بعد الثانية، والإحياء أن الأولى بعد الموتة الأولى والثانية بعد الثّانية، فيظهر أنهم رجعوا بعد موتهم إلى الدنيا وعاشوا ورأوا ما رأوا ثمّ ماتوا، ثمّ أحياهم الله، فيقولون هكذا فالحياة قبل الموتة الأولى خارجة عن الحساب، ولذلك قدم الإماتة بقوله أمتنا إثنتين، مضافاً إلى ذلك ما ورد في الصّحيح عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:« ليأتينّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل حذو النّعل بالنعل »[4].

---

[1] سورة النمل: (الآية: ٨٣).

[2] سورة الكهف:(الآية: ٤٧).

[3] سورة غافر: (الآية: ١١).

[4] [مستدرك الصحيحين]: (ج١/ص٢١٨).

فمّما جرى في الأمم السّابقة رجوع بعض الأموات إلى الدنيا وعيشهم فيها إلى أن ماتوا مرّة ثانية، فلابدّ أن يقع مثله في هذه الأمة طابق النّعل بالنّعل، فيرجع بقدرته وإرادته من يشاء من هذه الأمة في آخر الزّمان إنجازاً لوعده﴿ **وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما إستخلف الّذين من قبلهم وليمكّنن لهم دينهم الّذي إرتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً** ﴾[1].

وهذا الوعد من بداية الخلق إلى عصرنا هذا لم ينجز لأنه ما حصل في أيّ عصر ونسل، إنّ جميع الناس يعبدون الله ولا يشركون به، وما كان للمؤمنين أمن من الجبابرة والطّواغيت، ودائماً كانوا على خوفٍ من أذاهم، وكذلك ما كانوا متمكّنين لأداء وظائفهم الدّينية كما هي، ولذلك يجب أن ننتظر يوماً يتحقق فيه هذه كلها، وهو يوم ظهور المهدي(عليه السلام)، ويظهر معه من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى(عليه السلام) الذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانة الأنصاري، والمقداد بن أسود، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً[2].

وحاصل ما ذكرناه أنّ الإمامية يعتقدون بصحّة الرّجعة ووقوعها باستنادهم إلى الآيات والرّوايات، وما وقع في الأمم السّالفة، ويؤمنون بأنّ الله تعالى كما أحيا بقدرته الأزلية أمواتاً في سالف الزّمان سيحيي بقدرته الأبدية أمواتاً في آخر الزّمان، وهذا الإعتقاد من صميم الإيمان بالله الواحد، وقدرته، ومشيئته، وحكمته، وإنّه لا يخلف الميعاد، فقال سبحانه وتعالى:﴿ **إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدُّنيا**

---

[1] سورة النور: (الآية: ٥٥).

[2] [إلزام الناصب]: عن[إرشاد المفيد]: (ج٢/ص٣٤٣).

ويوم يقوم الأشهاد ﴾[1]، ومن المعلوم أنّ كثيراً منهم، أي من الرسل وأوصيائهم والمؤمنين قتلوا بأيدي الظّلمة، وما نصرهم أحد، فتأويل الآية الكريمة يظهر في الرّجعة في الحياة الدنيا، ويرجعون وينصرون لتحقّق ما وعدهم الله﴿ **أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متّعناه متاع الحياة الدنيا ﴾**[2].

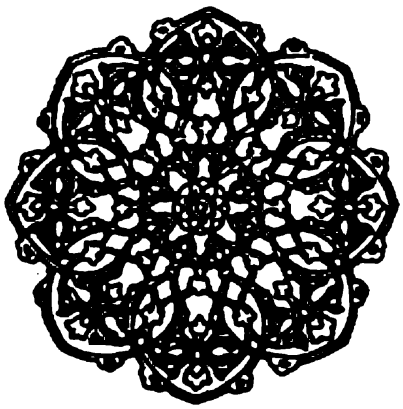

---

[1] سورة غافر: (الآية: ٥١).

[2] سورة القصص: (الآية: ٦١).

(١٤)

الإمام محمد بن الحسن المهدي

(عجل الله فرجه الشريف)

الإمام المهدي الموعود ابن الإمام الحسن العسكري(عليهما السلام)، أمه نرجس حفيدة قيصر الروم ومن ذرية شمعون الصفا وصي سيدنا عيسى(عليه وعلى نبينا السّلام).

تولد في منتصف شهر شعبان سنة(٢٥٥ هـ)، وقد اختاره الله إماماً بعد أبيه وعمره خمس سنين، كما أتى الله يحيى وعيسى(عليهما السلام) حكماً ونبوة وهما صبيّان، وقد احتجب عن الناس خوفاً من طواغيت الزمان، وعيّن وكلاء لتمشية أمور شيعته، وكان مدة غيبته الصغرى ما يقرب من أربع وسبعين سنة، وبعد وفاة النائب الرابع وهو علي بن محمد السمري في سنة(٣٢٩ هت) قد وقع غيبته الكبرى، وهو إلى ما شاء الله غائب عن الأبصار وحاضر في الأمصار، ولابدّ من ظهوره يوماً ما لإصلاح الدنيا وأهلها(اللهم عجّل فرجه الشريف وسهّل مخرجه المبارك).

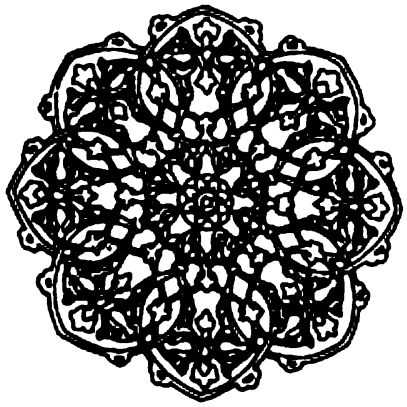

(١٢٥)

الحسين بن روح

هو أبو القاسم النوبختي، أحد النواب الأربعة وثالثهم للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في الغيبة الصغرى، وحينما إشتدّ مرض أبي جعفر محمد بن عثمان النائب الثاني اجتمع وجوه الشيعة فدخلوا عليه، فقالوا: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟

قال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي السفير بينكم، وبين صاحب الأمر والوكيل والثقة الأمين، فأرجعوا إليه في أموركم، وعوّلوا إليه في مهامكم، فبذلك أمرت، وقد بلّغت.

وكان(رضوان الله عليه) يستعمل الإحتياط لحفظ أسرار القائم(عجّل الله فرجه)، وكان أبو سهل البوبختي وهو من وجوه الشيعة يقول في حقه: إنه لو كان الحجّة تحت ذيله، وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه.

ومات(رضوان الله عليه) في شعبان(٣٢٦ هـ) ببغداد، ودفن فيها.

(١٢٦)

حكيمة

بنت أبي جعفر محمد بن علي الجواد(عليه السلام)، وهي صاحبة الفضل والجلال، وكانت مورد إجلال للأئمة الأربعة ـ أي الجواد والهادي والعسكري والمهدي(عليهم السلام)، ولها منصب السفارة بينه وبين الشيعة، ولديها أسرار الإمامة، وهي من بين الهاشميات تمتاز بإمتيازات عديدة من العلم والعبادة والتقوى،

ففارقاهما، ولكن عتيبة قد أساء الأدب فوثب على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وشقّ قميصه، فدعا عليه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله:« اللهمّ سلّط عليه كلباً من كلابك ».

فخرج عتيبة في جمع من قريش للتّجارة، ونزلوا مكاناً، فطاف بهم الأسد فجعل عتيبة يقول: يا ويل أمي والله آكلي كما دعا عليّ محمد(صلى الله عليه وآله وسلم).

ثمّ ألقى الأسد ذنبه فضربه ضربة واحدة، فقال عتيبة: قتلني.

ومات، وأما عتبة وأخوه الثّالث معتب في فتح مكة فقد هربا، فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) لعمه العباس: إذهب إليهما فإئتني بهما.

فأتى العباس بهما إلى الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، فدعاهما إلى الإسلام، فأسلما، وسرّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بإسلامهما.

(٢٠٥)

عثمان بن سعيد

هو عمروي منسوب إلى جدّه جعفر العمروي الأسدي، وهو أوّل نائب للمهدي(عليه السلام) من النوّاب الأربعة في الغيبة الصغرى، وهو لدى الإمامين الهمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام) مورد الوثوق والتّكريم، وكانا يراجعان الشّيعة في مسائلهم وأمورهم إليه، وبقي في هذا المنصب الجليل من جانب الحجة، وكان يستلم الأموال ويصرف في موارده ويستلم أجوبة المسائل من الإمام ويبلغ أصحابها ويخبرهم بالمغيبات وكمية الأموال وأصحابها كلّها من إفاضات المهدي(عجل الله فرجه).

وقد ألّف عشرات الكتب العلمية، وبينما كان يشتغل بالقراءة والدرس كان نقيب العلويين الأشراف، وله ولاية عامة عليهم لإدارة شؤونهم، وإقامة العدل بينهم، والمحافظة على أنسابهم، والصيانة عن كلّ ما يخلّ بالشرف والحسب والنسب، وإمارة الحاج وولاية المظالم، وقضاء القضاة، وهذه المهام الإدارية ما كان ركوناً إلى الظلمة بل فيها مصلحة لإحقاق الحق وإبطال الباطل وإغاثة الملهوفين من المؤمنين، وفوق هذه كلها إنتهت إليه رئاسة عامة على المسلمين بعدما فوجع بوفاة شيخه وراعي نبوغه الشيخ المفيد(رحمه الله)، وقد تأهّل لإدارة المجتمع وحلّ مشاكله وقضايا المرجعية حيث كانت داره محلّ وفود وقصود الناس يسترشدون منه، ويستفيدون وينالهم فيوضاته وبركاته، إلى أن وصل إلى واحد وثمانين سنة من عمره فأجاب دعوة الحق، وتوفى في الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة(٤٣٦ هـ)، ونقل جثمانه إلى كربلاء، فدفن بجوار جدّه الحسين بن علي(عليهما السلام) مع أبيه الشريف أحمد الحسين، وأخيه الشّريف محمد الرضي(قدّس الله أسرارهم)، وقد اشتهر بأنه مجدّدٌ للقرن الخامس.

(٢١٧)

علي بن محمد السّمري

هو أبو الحسن النائب الرابع والأخير لمولانا الحجّة في أيام الغيبة الصغرى، وهو مثل أسلافه الثّلاثة كان باباً للحجّة وسفيره وواسطته لدى الشيعة، فيحلّ مشاكلهم ويجيب على مسائلهم، وأوصى إليه بأمر الإمام النائب الثالث حسين بن روح النوبختي، فقام مقامه، ولما دنى أجله حضر لديه وجوه من الشّيعة وسألوه عن وصيّه ووكيله بعد وفاته، فقال: ما أمرت بشيء من ذلك.

ثمّ أراهم توقيعاً صادراً فيه خبر وفاة علي بن محمد بعد ستة أيام، والنهي عن الوصية لأحد، وفيه: فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره.

وبعد صدور هذا التوقيع، وإبلاغه إلى وجوه الشيعة توفي علي بن محمد، ووقعت الغيبة الكبرى سنة(٣٢٩ هـ).

(٢١٨)

عمار بن ياسر

(رضوان الله عليه)

هو أبو اليقضان بن ياسر العنسي، وأمه سمية، وكان من السّابقين الأولين من السبعة الذين أظهروا الإسلام، وهو وأبوه وأمه كانوا ممّن يعذّب في الله، فكان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يمرّ عليهم فيقول:« صبراً آل ياسر موعدكم الجنة ».

وهاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، واستعمله عمر على الكوفة، وكتب إليهم: إنه من نجباء أصحاب محمد(صلى الله عليه وآله وسلم).

وهو الذي نزل فيه قوله تعالى:﴿ **من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾[1] .

فقال(صلى الله عليه وآله وسلم):« من عادى عمّاراً عاداه الله ».

وقال(صلى الله عليه وآله وسلم):« إنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية ».

قتل مع علي(عليه السلام) بصفين سنة(٣٧ هـ)، وكان عمره(٩٣ سنة).

---

[1] سورة النحل: (الآية: ١٠٦).

فيقول: أجل أنا مهدي أهدي إلى الخير ولكن إذا إذا سلّم أحدكم فليقل السّلام عليك يا محمد.

تولد في خلافة عمر بن الخطاب، ويروي عن أبيه وعمار وابن عباس، وعنه جماعة، واختلف في عام وفاته، والمشهور أنه توفي في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان عمره(٦٥سنة)، ودفن بالبقيع، وقيل توفي بالطائف..

ويروي عن أبيه(عليه السلام)، وعمار، وابن عباس، وعنه جماعة، واختلف في عام وفاته، والمشهور أنه توفي في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان عمره(٦٥ سنة) توفي بالطّائف.

(٢٤٩)

محمد بن طلحة

أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي النصيبي، لا يكاد يوجد منكر من أهل السنّة والجماعة له ولكتابه المسمّى بـ[مطالب السئول].

(٢٥٠)

محمد بن عثمان

هو ابن عثمان بن سعيد الذي سبق، النائب الأول للمهدي(عجّل الله فرجه)، وهذا محمد قد تشرّف بنيابته بعد أبيه عثمان بتوقيع صدر من الإمام، وقد أثنى فيه على الوالد والولد، ومنه هذه الجملة:« وكان من كمال سعادته أن رزقه الله ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره ».

وقد صدر مكتوب وتوقيع آخر بهذا اللفظ:« والإبن وقاه الله لم يزل ثقتنا في حياة الأب(رضي الله عنه) وأرضاه ونضّر وجهه يجري عندنا، ويسدّ مسدّه، وعن أمرنا يأمر الإبن وبه يعمل تولاّه الله ».

وقد جرت بيده الدلائل والمعجزات الكثيرة بأمر الإمام، وقد صنّف مجلدات في الفقه الذي قد أخذه من الإمام العسكري والإمام المهدي(عليهما السلام)، ومن أبيه.

وروي إنّه في كل موسم يشهد الإمام المهدي(عليه السلام) ويرى الناس ويعرفهم وهم يرونه ولا يعرفونه، وقال: أنا رأيته في المسجد الحرام، وكان يقول: اللهمّ أنجز لي ما وعدتني.

وأوصى بأمر الإمام إلى الحسين بن روح الذي تقدّم ذكره، وأودع كتبه إليه وقضى نحبه.

(٢٥١)

محمد بن يوسف

أبو عبد الله الحافظ محمد بن يوسف بن محمد النوفلي القرشي الكنجي الشّافعي، نزيل دمشق، ذكره كثير من الأعلام والمؤلفين في كتبهم، ووصفوه بأوصاف جميلة، وله مؤلفات وما وصل إلينا إثنان[كفاية الطالب]، و[البيان في أخبار صاحب الزمان]، وما ذكرنا تاريخ ولادته، ولكن سجّل تاريخ استشهاده لأنّ الحاقدين رموه بالرّفض لأنه جمع كتباً في التشيّع، وأخيراً بقروا جنبه بجامع دمشق سنة(٦٥٨ هـ).

حرف النون

(٢٦٦)

نرجس

(رضوان الله عليها)

هي أم الإمام صاحب العصر والزمان(عجّل الله تعالى فرجه الشّريف)، وهي رومية حفيدة قيصر الروم، ومن ذرية شمعون الصّفا وصي عيسى(عليه السلام) من ناحية الأم، وشاء الله أن تقع في أيدي المسلمين نتيجة غزوهم مع الروم، وتصل سليمة ومأمونة إلى سيدنا الإمام الهادي(عليه السلام) بعلمه بها، وبعثه لشرائها، ثمّ زوّجها لولده الحسن العسكري(عليه السلام)، فأنجب منها الإمام المهدي(عجّل الله تعالى فرجه الشّريف)، وهي من سيّدات النساء شرفاً، وحسباً، ونسباً، أباً وأماً وزوجاً وولداً(عليهم سلام الله).

(٢٦٧)

النّسائي

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب، أحد كبراء المحدّثين من العامة، وهو منسوب إلى« نساء » بلد بخراسان.